مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 03 السنة 2020 ص 689 - 701

تاريخ الإرسال: 2020/01/15 تاريخ القبول: 2020/04/29
تاريخ النشر: 2020/07/02

النّقد الاجتماعيّ في الشعر الشّعبي الجزائريّ
– أحمد ابن الحرمة نموذجاً-
Social criticism in The Algerian popular poetry
Ahmad Ibn Al-Horma

د. بولرباح عثماني
جامعة الأغواط . bouotmani@gmail.com

الملخص:

عمليّا إن النقد الاجتماعي هو دراسة الأدب من خلال المجتمع، فهو يدرس العلاقة التي تربطهما بتحليل الحياة الاجتماعية كشفا عن عيب أو نقص خفيّ، وقد يكون هذا العيب اجتماعيّا أو دينيّا أو أدبيّا، وقد جاء الشعر الشّعبي الجزائري محمّلا بذخائر لا متناهية من المفهومات الاجتماعية التي تعالج المجتمع وتضعه تحت المجهر كشفا وسبرا لخباياه ومن بين هؤلاء الشّعراء نجد الشاعر الشّعبي "أحمد ابن الحرمة" الذي عالج المجتمع ووضع بصمته في عديد من القضايا وفق أسلبة اجتماعية تجمع بين السخرية والتهكم والمعالجة الفعلية أحيانا من هذا المنطلق كيف تجلّت العناصر الاجتماعية في شعر "أحمد ابن الحرمة"؟ وكيف عبّر الشاعر عن قضايا المجتمع؟ وإلى أي مدى يمكن تطبيق النقد الاجتماعي في شعر الشاعر؟

الكلمات المفتاحية: النقد الاجتماعي، المجتمع، شعر، أحمد ابن حرمة.

Abstract:

In practice, is the study of literature through society, as it studies the relationship they have with social life analysis to reveal a hidden

المنارة للاستشارات

defect or deficiency, which may be social, religious or moral.The Algerian popular poetry came loaded with endless ammunitions of social understanding that deals with society and puts it under the microscope, revealing and telling its experts. Among these poets, we find the popular poet Ahmad Ibn Al-Horma who treated society and put his imprint in many issues according to a social style that combines irony, and sometimes actual treatment. In this sense, how did the social elements in the poetry of "Ahmad Ibn Al-Horma" be shown? How did the poet express the issues of society? How far can social criticism be applied in the poet's poetry?
Keywords: Social criticism, society, poetry, Ahmed Ibn Al –Horma

---

المؤلف المرسل: **بولرباح عثماني** ، الإيميل: **BOUOTMANI@GMAIL.COM**

مفهوم المنهج الاجتماعي: النقد الاجتماعي la sociocritique:

هو أحد الأثافي الثلاثة للنقد السياقي، واتجاه من الاتجاهات الخارجية لدراسة الأدب، وهو منهج يعمد إلى ربط الأدب بالمجتمع لأن الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السياسية والاجتماعية والثقافية، وتعود هذه الدعوة القائلة بتوجيه الأدب وجهة اجتماعية بصفة ممنهجة إلى أواخر ق18 وبداية القرن 19م.

وتنطلق فكرة المنهج الاجتماعي في نظر " باربيرس" Pierre Barbaris من النظرية التي ترى أن « الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها»[18]، وكذلك ردد دي بونالد (De Bonald) عبارته الشهيرة « الأدب تعبير عن المجتمع »[29]، وهذا يعني أن العلاقة بين الأديب والواقع الاجتماعي ليست علاقة من جانب واحد بل هي علاقة جدلية

المنارة للاستشارات

فالأديب يعكس ويصور الحياة الاجتماعية في بيئته، والأدب هو ثمرة إعادة بناء عناصر الواقع بلغة جديدة هي لغة التعبير الأدبي.

ومن هنا كان منطلق النقاد الاجتماعيين في قراءاتهم النقدية يعتمد على الظروف الاجتماعية « باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي لهذه الأعمال الإبداعية والفنية »[3]، أي أن المجتمع هو الذي يؤثر في الأديب فيدفعه إلى الخلق الإبداعي كما يعني أيضا أن معرفة الظروف المختلفة لمجتمع ما، يمكننا من قراءة نقدية سريعة لأعمال أدبائه فلا يكتمل فهم هذه الأعمال إلا في ظل الظروف التي ساهمت في خلقها أو تحكمت في إنتاجها.

وهذا ما أكدته الناقدة الفرنسية مدام دو ستايل (Madame De Stàel 1766/1817) بقولها « إننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة والظروف الاجتماعية التي أدت إلى الإبداع »[4]، فالأدب في رأيها يتغير بتغير المجتمع ويطرد تطوره مع تزايد القدر الذي يحظى به المجتمع من الحريات الفردية والعامة، وقد رأيت في رأيها الصواب والدقة وذلك أن الأدب الفرنسي مثلا أكره في عصر ما قبل الثورة على الاتجاه نحو الهجاء خلافا لما بعد الثورة فقد تغير هذا الأدب تغيرا كبيرا نتيجة التغيير الاجتماعي.

بمعنى أن الكتابة الأدبية هي حدث ذو طبيعة اجتماعية لأن المجتمع يؤثر في الفن من خلال مشكلاته الحيوية التي تحفز الفنان على الخلق ولأن هذا الأخير شأنه شأن أي فرد آخر داخل في هذا الصراع، وهذا ما جعل بلاكمير يقول مقولته القائلة بأن « العبء الملقى على عاتق النقاد هو وضع جسور بين المجتمع والفنون»[5]، وذلك من أجل تفسير ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية بما يأتي من مصادر خارجية واجتماعية بالخصوص، أي دراسة هذه الأعمال الأدبية كوثائق اجتماعية على افتراض أنها حوار الواقع الاجتماعي « فالأعمال الفنية تتألف دائما من موضوعات لها دلالة اجتماعية (وللألفاظ والأشكال والأنغام)، ارتباطات انفعالية تتسم بأنها اجتماعية، والموضوع الذي يعالجه الفنان أي الشخصيات، البيئة، الحوادث

المنارة للاستشارات

...، وكذلك الرموز التي يستخدمها تعكس إيديولوجية ذلك العصر، والاتجاهات التي يعبر عنها تضعه في جانب أو آخر من الصراع الطبقي، وهكذا فإن جميع عناصر العمل تكشف عن تأثير المجتمع »[6]، وقد اتجه هذا المنهج إلى دراسة العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتحكم في الظاهرة الأدبية، فكان ينفذ في التاريخ الاجتماعي محاولة لشرح العمل وتفسيره وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وهو يعنى ببعض الأجناس الأدبية التي تصور بنوع خاص الواقع الاجتماعي مثل الرواية الواقعية والمسرح السياسي الحديث ...

عرف هذا المنهج بعدة أسماء منها: المنهج الواقعي، المنهج الماركسي، المنهج المادي التاريخي، المنهج الإيديولوجي، النقد الجماهيري...إلخ، وذلك تبعا للاتجاهات والنزعات التي تفرعت عن الفلسفة الأم، وتبعا لخصوصية كل ناقد في استثمارها[7].

كما استطاع المنهج الاجتماعي أن يطور مجموعة من المفاهيم والمصطلحات النقدية الهامة منها: الفن للمجتمع، رسالة الأدب، الأدب الثوري، الأدب الملتزم، الأدب الهادف، الانعكاس، رؤية العالم ...[8]؛ إذ الذين يتعلقون بالنقد الاجتماعي يرونه هو الأمثل لتناول النصوص الأدبية وذلك على أساس أن الكتابة الأدبية ليست في حقيقتها إلا امتدادا للمجتمع الذي تكتت عنه وتكتب فيه معا، كما أنها ليست نتيجة لذلك إلا عكسا أمينا لكل الآمال والآلام التي تصطرع لدى الناس في ذلك المجتمع[9].

مكانة الشعر الشعبي في المخيال الاجتماعي:

إنّ حياة أيّ أمة من الأمم لا تتم إلا عبر الاعتزاز بتراثها والاستنارة به ، والتطلّع إلى مستقبل مؤسس على ماضي متكيّف مع واقع معاش ، ولهذا وجب على كل فرد يدرك قيمة إرث منطقته أن يحاول بكل ما يجد من وسيلة أن يعتني به ويحفظه للأجيال.

المنارة للاستشارات

لا نكون مفرطين حين نقول أن أهم ما ورثنا عن أسلافنا ذلك القنديل الذي أبى أن يطفي رغم كل العواصف ، و ذلك الدليل الذي يقودنا إلى عالم كل ما فيه عزيز ، لا نكون مفرطين أيضا إن قلنا إنه الشعر.

يمثل الشعر حلقة الوصل بين جيل لم نعد نرى إلا بقاياه في أعماق الصحراء وأطراف المدن وبين جيل يصارع من أجل الحفاظ على هويته ، تلك الهوية التي نراها طمست في كثير من الحواضر الإسلامية أو كادت ...

ولهذا وجب علينا أن نقدر أهمية الشعر كصمام أمان نضع للمجتمع في مواجهة ما يسمى اليوم بالعولمة ، وما تخفيه من سموم تقدم للعالم خاصة الإسلامي منه بشكل حميات ووصفات طبية ، وأنى لها أن تكون كذلك .

ما يهمنا من هذا كله هو أن نعطي للشعر والشعراء والبيئة التي استمدوا منها إبداعاتهم ما يستحقون، من دراسة وتحقيق تمكنان المجتمع من أن يستفيد منها ويجعلها بذرة سليمة لشجرة حضارة نرجو أن يكون أصلها ثابت وفرعها في السماء .

والشعر الشعبي لون من ألوان الأدب الشعبي ، له ارتباط وثيق بالمجتمع ، فالشاعر الشعبي له لمحات خاصة في تصور قضايا مجتمعه حين لا يمكنه أن ينفرد عنه مهما كان، وفي هذا يقول "أحمد أمين":

"لا جدال من أن الشاعر كلما كان في مرتبة أعلى كلما زاد انتماؤه إلى المجتمع وللوسط الذي ولد فيه".

ثم يزيد الأمر تفصيلا ووضوحاً في التصاق الشاعر الشعبي بمجتمعه وتعبيره عنه فيقول : "إن المجتمع لا يوجد حول الفنان فقط ، بل في داخله أيضا سواء أدرك ذلك أم لم يدرك ، أراد أم لم يرد ، ومهما قيل بأن الشعر تعبير عن العواطف الشخصية فإنه بالضرورة

المنارة للاستشارات

يصبح تعبيرا ذاتيا عن المجتمع مما يسمح للمجتمع بأن يرى في الشاعر العظيم بشيره ومفكره .

يذهب إلى ذلك أيضا في التأكيد على رأي الأستاذان : جلول يلس وأمقران الحفناوي حيث قالا: "...هذا الإحساس الإنساني العميق الذي ينبع أساسا من إحساسات الشاعر الشّعبي بالباطنية وانفعالاته النفسية يبرز بحق صورا حية كاملة لمعاناة الإنسان البدوي ومقاساته لضروب مختلفة من الغرائز الإنسانية شوق وحنين وحسرة وألم ... تفاؤل، وهي ضروب تصيب الإنسان وحده وقد تكون شخصيته بحتة ، إلا أن سياقها وما يحملها الشاعر الشّعبي لشعره ، يوضح لنا أنه بعملية إسقاطيه لا تعبر عن موقف ذاتي فردي ولكنه تعبير عن حالة اجتماعية عامة بواسطة تجربة ذاتية فردية "[10].

لا شك أن الشعر وليد لما تفرزه حياة المجتمعات من الظواهر في مسيرتها الطويلة وذلك يعني أن الشعر يستأصل لأن حياة المجتمع لن تبقى راكدة على حال ،وإنما هي في تجدد مستمر ،ومن جانب أخر نجد أن أي مجموعة شعبية لها ثقافتها التي تميزها عن باقي المجموعات ،ولها عاداتها وتقاليدها ولكل منها تاريخها الذي تستمد منه ماضيها وحاضرها ومستقبلها فمنذ القديم ولكل مجموعة شعبية فنونها الشعبية الخاصة بها .

لقد اهتم الشعراء الجزائريون سواءً الذين كتبوا الفصيح أو الشّعبي بقضايا عديدة دينية واجتماعية وقومية وغيرها، فلا نكاد نلمس قضية مستقلة بعينها وإنما كان يعالج ذلك كله ربما في القصيدة الواحدة.

وابن الحرمة واحدٌ من هؤلاء الشعراء، فعلى الرغم من أن شعره ذا منحى صوفي غلب جل إنتاجه الشعري، إلا أنه لم يغفل عن تناول بعض القضايا الاجتماعية، فهو محذرٌ من بعض السلوكات الاجتماعية الدخيلة على مجتمعنا، والبعيدة عن سلوكات أبنائه وعاداتهم.

المنارة للاستشارات

إنه ومن خلال شعره الاجتماعي القليل، نراه يلاحظ ولا يتوانى في التنبيه أو التحذير إني قضايا ينفعل لها انفعالا قوياً ويألم منها تألماً كبيراً، لأن الشاعر الملتزم ينصب نفسه حامياً للقيم وراعياً للمثل.

لقد كان شعر اِبن الحرمة الاجتماعي عبارة عن رسالة نقدية لما يراه ويلمسه، وإن شئت قُلنا أنه عبارة عن ضمير المجتمع يستاء عندما يعتري المجتمع تبدل أو تغير أو حتى تخلي عن تلك القيم الموروثة، فيثور للدفاع عنها. وعندما تصفحنا قصائده وجدنا في شعره هذا اللون من النقد فجاز لنا أنْ نقول أنه واحدٌ من أولئك الشعراء الذين حاولوا تنبيه المجتمع كي لا تتهدم قيمه وعاداته بسبب فساد بعض النماذج، فهي بمثابة الأمراض المعدية التي يجبُ محاصرتها والقضاء عليها.

فالشاعر ومن خلال قصيدته (الظّنُ خَابْ) يبدي تحسره وأساه جراء موت رفاقه، وتغير أحوال الدنيا، وظهور سلوكات اجتماعية دخيلة على المجتمع الجزائري ومن بين هذه السلوكات التي نجد الشاعر قد أشار إليها وخدر منها، تشتت وانقسام العلاقات الاجتماعية جراء اختلافات ثانوية لا قيمة لها ولا كيان وأصبح أفراد المجتمع يتخاصمون ويتفرقون من أجل قضايا غير مهمة ويمكن الاستغناء عنها كل هذا أورده الشاعر في مطلع قصيدته التي جاء فيها :

حَسْـــرَاه يَـــا الـــدُّنْيَا ضَـــاقَتْ الأَرْوَاحْ * صَـــدُّوا[11] رْفَـــايْقِي وَبِقِيـــتْ اَنَايَـــا**

عَادْ الزَمَان يَتْقَلَب فِي الأَرِيَاحْ * الأَحْبَاب تَتفَرَقْ عَنْ جَالْ وَقِيهْ**

وَجهْ الحَبِيبْ ذَرَكْ[12] تُبَاع بِلاَ أَرَبَاحْ * يَتْحَاسْبُوا عْلَى حَاجَه دُونِيَه**

المنارة للاستشارات

ثم ينتقل بنا إلى الحديث عن ظواهر اجتماعية وأخلاقية لم يعهدها الشاعر فثارت نخوته وراح ينقدها ويتذكر تلك القيم التي ضاعت وتلاشت، ولم يعد الحديث عنها (كالكرم والجود والإقدام والشجاعة) فنجده يقول :

زَلْ الطعَامْ الأَحْمَر وأَهلْ التَشبَاحْ * عَادْ المَلِيحْ يَتْعَرضْ[13] عْلَى قَلاَيَة**

كَانُوا قْبِيل فِي الدُنْيَا نَاسْ ملاَحْ * رَحْلُوا غْدَاوا خَلاَوْهَا[14] مَحْكِيَه**

ومع أنّ اللغة العادية والمباشرة تكون في بعض الأحيان عاجزة عن محاصرة الواقع والإمساك به، ولهذا يكون إلزاماً على الشاعر في هذا المقام أن يستعين بالمعاني والألفاظ الرمزية حتى يمسك باللفتة الشاردة ويشير إلى الفكرة الماردة فيرُدها إلى عالم الإبداع، وهكذا ما لم يستطع الشاعر قوله في أسلوب عادي ومباشر يفصح عنه بأسلوب رمزي مدثر بالإيحاء فنجده يبرز غياب الصيد الذي يعبرُ عن الشجاعة والشهامة في المجتمع، وقد حلّ محله الخوف والهلع فنجده يقول في هذا المقام :

الصَيدْ مَاتْ هَذِه دَوْلَة فَرَاحْ * والطِيرْ غَلَبْتُه الرَخْمَة والحْدَايَه**

ومن الظواهر الاجتماعية التي انتقدها اِبن الحرمة أيضاً عزوف أهل الدين والصلاح والورع، عن مهامهم واشتغالهم بأمور الدنيا التي لا تسمن ولا تغني من جوع؛ كما أشار الشاعر في ذات القصيدة إلى بعض السلوكات التي يراها دخيلة على الأوساط الاجتماعية التي نشأ فيها وترعرع ولم يكن له عهدٌ بها فراح ينتقدها تارة بالتلميح وتارة بالتلويح وتارة أخرى بالتجريح كعدم اهتمام أفراد المجتمع بالذهب وأصبح لا قيمة له وأصبحت المحرمات مباحة كالحرير مثلاً.

وبما أنّ الشاعر مرآة عاكسة لأحوال المجتمع فاِبن الحرمة هو الآخر يتألم من عدة سلوكات اجتماعية ويشير إليها قائلاً :

عُمْرِي فْنَات مَنْ هَذَا الجِيلْ أَقبَاحْ * ولِى البُو يْطَاوَع[15] فِي الذَرِيَه[16]**

المنارة للاستشارات

الرَأيْ لِلذْرَارِي والشَابِبْ جَاحْ * قَالُوا بْلاَ عَقلْ مَا يَعْرَف حَيَّه**[17]

فهو يشير إلى ظاهرة خطيرة عالجها من باب ديني وهي عقوق الوالدين. وخروج الشباب والأبناء خاصة عن طاعة الآباء. ومن جانب آخر نجد الشاعر يحذر من غرور الدنيا ويصور حالاتها وتقلباتها فهو بمثابة الناصح الأمين والمرشد الحكيم فهو لم يبخل بالنصيحة والتنبيه من تقلبات الدنيا فراح يقول :

واللّي سْعَاوا الدُنْيَا رَاحُوا قُمَاحْ * وبْلاَ عُقُول غَرَّتهُم**[18]**هَاوِيَه**

ثم يبيّن هذه التقلبات فتارة نجد الإنسان سعيداً وتارة حزيناً هذا التحذير جاء به الشاعر رمزياً واستعمل صوراً ذات بُعد رمزي يقرب الفكرة أكثر فنجده يقول :

لَيْلَة تْبَات ظَلْمَه لَيْلَة مَصبَاحْ * نُوبَة**[19] **سحَابْ نُوبَه شَمسْ ضْحِيَه**

نُوبَه شْرَابهَا طَيِّبْ عَسَلْ الأَشبَاحْ * نُوبَة مْرَار قَطْرَان الجَبْلِيَة**

نُوبَة تْعُود تَبْكِي فِيهَا نوَاحْ * مَنْسَى مَنْ العِبَاد اللّي مَنْسِيَه**

فابن الحرمة ومن خلال عرضه لأحوال الدّنيا نجده ضاق مرارتها فراح يتحمل عبء رسالته الشعرية وراح يخدر العاقل من مجاراة الدنيا لأنها لا تؤمن عواقبها فهي ذات أحوال متضادة فساعة الفرح تقابلها ساعة الحزن وساعة التفوق تقابلها ساعة الانقلاب، إلا أنه يشير دائماً إلى المنحى الديني في شعره فيدعوا إلى الصبر والتوبة والإنابة إلى الله فنجده يقول في آخر قصيدته :

الصَّابرِينْ لَيْهُم رَبِّي فَتَاحْ * والتَايبِينْ لَيْهُم ذِيكْ وْذِيَه**[20]

ولم يتوقف الشاعر عند هذا فحسب، بل نجده أيضاً أشار وانتقد بعض السلوكات التي عايش الشاعر أصحابها في مجتمعه الذي يُعد ابن الحرمة جزءاً منه فيسرد لنا في قصيدته : (لزرق ولد الحمام) هذه النماذج الغير سوية، إذ وبعد المقدمة التي نلمس فيها

المنارة للاستشارات

إرسال الشاعر طائر الحمام إلى شيخه ببغداد مبلغاً إياه حالته المزرية جراء ما حدث له من هموم ومصائب فيقول :

لَزَرَقْ[21] وَلدْ الحْمَام نَكْتَبلَك عُنوَانْ * يَا مَرْقُوم[22] الجْنَاح بَجمِيلَكْ فِيَّه**

بْرَى بُوصَايْتِي أَتْعَلَى فِي لَمزَانْ * حِيْن تَوْصَل لبُوعْلاَم[23] رَايِس لَولِيَا**

جِيْتَك مَرْسُول قُلُوا مَنْ عَنْد فلاَنْ * أَخْدِيمَك رَاهْ فِي حْوِيلَة دُونِيَّة[24]**

وكما نرى في المقدمة فالأبيات ليست من غرض المدح أو التوسل، بل الشاعر يدعوا من خلالها إلى الاستنهاض، ومعالجة الواقع المزري الذي أصبح يعاش، إذ راح إبن الحرمة يصف هذا الواقع الذي تغير وتغيرت معه معالم الدنيا والدين، وكيف سادت قيم فاسدة حلّت محل القيم الاجتماعية الفاضلة فيقول في هذا المقام :

قَلْبِي رَفْرَفْ[25] كِيْ الطِيرْ أَبْلاَ جَنحِينْ * مَتْنَقَض خَاطْرِي عْلَى هَذِي الدُنْيَا**

بَلْحَق رَانِي وْحِيد مَنْ عَمَّة لَقرَانْ * واللِّي دَرتْ حَبِيبْ يَستَهْزَا بِيَا**

مَنْ تَعْطِيهْ العْسَل إِرْدُولِي قَطرَانْ * خَيْرِي يَنْسَاه عَادْ مَنْ نَاسْ أَعْدَايَا**

فهذه السلوكات التي يراها الشاعر دخيلة على المجتمع المسلم لم يرض لها، بل انتقدها وراح يحذر ضمنياً من أصحابها المخادعين الذين يتفكرون الجيل السابق.

ليبدأ بعهدها في وصف التغيير بالتفصيل والإبانة وكيف أنه مس فروض الدين، وحرّك دعائم المجتمع وأثر فيه وفي قيمه وتقاليده، فيقول محدداً هذه المساوئ واحدة تلو الأخرى :

ناسْ هَذَا الزْمَان مَا فِيْهُم لَمَانْ * يَخْدَعْنِي غِيرْ صَاحْبِي واللِّي لِيَا**

المنارة للاستشارات

تَارْكِينْ الصْلاَةَ حَلاَفِينْ لَمَانْ * مَا فِيْهُم مَا يْحَب رَبِّي مَوْلاَيَا**

أَجْمِيعْ اللِّي اَتْظُن فِيهْ مَنْ الشُبَانْ * هَذَاكْ اللِّي غَرْقَك لِلْقُطَايَة[26]**

أَهلْ الفَتْوَى يْعَاونُوا مُولْ المِيزَانْ * وأَهلْ الحِيْلاَت غَالبِينْ أَهلْ النِيَّة**

والقَاضِي هُو خصِيمْ لِلْفَقِير أَشحَانْ[27] * والرَشْوَة جَارْيَة مَحْسُوبَة أَهْدَيَة**

يَحْكَم لِلِّي اِجِيبْلُوا دُورُو[28] شَرنَانْ ** واشْهُودُوا كَامْلِين أَمْضَاو لِلْغُنيَة**

فالشاعر من خلال هذه الأبيات التي نراها نقداً لاذعاً لمثل هذه السلوكات كانحياز الفتوى إلى أهل المال والجاه، وحيف القضاة وظلمهم للفقراء، وإتباعهم لسبل الشيطان، كما أنهم لم يوفوا ما عليهم من واجب، وراحوا يظلمون الفقراء والضعفاء الذين لا نصير لهم، ويتعاملون بالرشوة التي أمست جارية بينهم ويحسبونها هدية، وقل أصبح حكم القاضي في نظر الشاعر رهين النقود المقدمة له (يحكم للي إجيبلوا دور وشرنان).

وهذه القصيدة وغيرها ممن تناول فيها اِبن الحرمة القضايا المتعلقة بالمجتمع وما شهده من تحولات في الأفعال والسلوكات، ترجع قيمتها في كونها تصويرٌ لحال المجتمع الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بأفراده وجماعاته وتسجيلٌ لما طرأ عليه من تبديل في أحواله وتصرفاته بفعل التدهور الاجتماعي وكذا بسبب الاستعمار، فالأوضاع إذاً تقلبت سافلها على عاليها.

والملاحظ على شعره، هو تداخل المواضيع والقضايا في قصيدة واحدة يطغى عليها البعد الصوفي؛ هذا ما يجعلنا نقول أنّ اِبن الحرمة وبعد استعراضه لبعض القضايا والسلوكات الاجتماعية نجده يبرز مكانة شيخه عبد القادر الجيلاني مرةً أخرى وما قدّم له من فضائل فيقول :

بَرَدْ قَلْبِي مَنْ المَعَاصِي والشَيطَانْ * بْجاه السَالكِينْ حِزبْ الصُوفِيَة**

المنارة للاستشارات

أَنَا عَقْلِي وَمَذْهَبِي ذَاكْ السُلطَانْ[29] *** **دَرتُ يَا سَامْعِين بَيْعِي وأَشْرَايَة**

ليختم اِبن الحرمة قصيدته (لزرق ولد الحمام) بالتوسل والاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهي عادة جرت على جل قصائد الشعراء الشعبيين.

خاتمة:

عبر الشاعر أحمد بن الحرمة عن اهتمام الشعراء الجزائريون سواءً الذين كتبوا الفصيح أو الشّعبي بقضايا عديدة دينية واجتماعية وقومية وغيرها. فقد كان شعره الاجتماعي عبارة عن رسالة نقدية لما يراه ويلمسه.

وترجع قيمة شعره الاجتماعية إلى كونها تصويرا لحال المجتمع الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بأفراده وجماعاته وتسجيلٌ لما طرأ عليه من تبديل في أحواله وتصرفاته بفعل التدهور الاجتماعي وكذا بسبب الاستعمار.

المراجع

[1]– بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006، ص65.

[2]– ريني ويليك، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط1، 1948، ص91.

[3]– صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت–لبنان، ط1، 2002، ص40.

[4]– إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكيك)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1، 2003، ص67.

[5]– جيروم ستولنيتز، النقد الفني (دراسة جمالية)، تر: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص656.

[6]– نفس المرجع، ص 671

المنارة للاستشارات

[7]– يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، رغاية–الجزائر، (دط)، 2000، ص40.

[8]– بسام قطوس، المرجع السابق، ص68.

(11). صدّوا : ذهبوا.

(12). ذرك : الآن.

(13). يتعرض : يدعى.

(14). خلاّوها : تركوها.

(15). يطاوع : يتبع.

(16). الذريّة : الأولاد.

(17). حية : لا يعرف شيئاً.

(18). غرّتهم : خدعتهم.

(19). نوبة : مرة وحيناً.

(20). ذيك وذية : يقصدُ الدنيا والآخرة.

(21). لزرق ولد الحمام : لقب للحمام.

(22). مرقوم : مفرقه.

(23). بوعلام : لقب من ألقاب الشيخ عبد القادر الجيلاني.

(24). ذونية : سيئة.

(25). رفرف : تحرك.

(26). للقطاية : إلى مقدمة الشعر أعلى الجبهة.

(27). أشحان : مخالفة الرأي.

(28). دورو : دراهم.

(29). السلطان : يقصد به شيخه الجيلاني.

المنارة للاستشارات